رؤية المؤرخين العرب والمسلمين لأحوال الغرب الاجتماعية (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م)

أ.م.د. محمد حسين علي السويطي/ كلية الآداب/ جامعة واسط

م.م محمد حسب الله علوان/ المديرية العامة لتربية واسط

The interesting of Arabian and Islamic historian in west not be born in limited historical period but they appeared and contacted from the starting of the development of the historical writing and they extend their knowledge to discover the history and the civilization of the west through scientist sight which focus about what they have from desire to increase the knowledge and to know the information of the neighbor nations like the west as (Occidentalism) which mean . the studying of west by east in specialist studying for community, political and economic and religious , without imitate but by subjective studying .

تقديم:

لم يكن اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين بالغرب وليداً لحقبة تأريخيه معينة وإنما ظهر مع بداية التطور في الكتابة التاريخية للمؤرخين وشروعهم في مد آفاق المعرفة والاطلاع على تأريخ وحضارة الأمم المجاورة لهم ومنها (الغرب) وانتهاج رؤية علمية قد ارتكزت على الرغبة في استطلاع ما لدى الآخر (الغرب) من أحوال اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية وعلمية ضمن دلالة علم ظهر متأخراً لكن جذوره تعود الى العصور الإسلامية الأولى وهو علم (الاستغراب) الذي عرف بأنه طلب الغرب من قبل الشرق وتجاوز حدود الاختلاف في الرؤى والأفكار[١].

وواقعا لهذا العلم أهمية كبيرة إذ أنه كشف لنا أن العديد من المؤرخين العرب والمسلمين قد أظهروا اهتماماً كبيرا في رواياتهم بالغرب رغبة في زيادة معلوماتهم واستطلاع ما لدى الغرب من أحوال سياسية أو اجتماعية وغيرها ضمن رؤية لم تتحدد بطبيعة العلاقات ما بين المسلمين والغرب سواء كانت في مجالها السياسي أو العسكري وإنما بهدف إظهار أن التأريخ المعرفي لكل أمة لا يكتمل دون الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى ومنها الغرب.

إن هذه الرؤية التي عبر عنها العديد من المؤرخين في رواياتهم وتجسدها بما يعرف بالاستغراب لم تكن نتاجاً لدافع أو حركة معينة وإنما هناك العديد من الدوافع التي تظافرت في ظهور ونضوج هذه الرؤية في كتابات المؤرخين عن الغرب ، فالبعض من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أشارت الى الغرب أو البعض من الديانات المتواجدة هناك وخاصة النصرانية أو البعض من مدن الغرب مما ولد دافعاً دينياً حث العديد من المؤرخين للبحث عن الأوضاع الدينية في الغرب ضمن أثر هذا الدافع ، أما طبيعة العلاقات أو تبادل الأسرى وأثره في نقل صورة عن الغرب دفعت بالبعض من المؤرخين أن يستثمروا هذا الدافع في مجال الاطلاع على أحوال الغرب السياسية .

ولا يمكن إخفاء أهمية الدافع الاقتصادي واثره في معرفة الغرب فالنشاط التجاري والزراعي وطبيعة الموارد الزراعية والتجارية للغرب كانت دافعا مهما لمتابعتها من قبل المؤرخين العرب والمسلمين واستطلاع أماكنها ونقل صورة معرفية عن أحوالها ضمن هذا الدافع، فضلاً عن أهمية الدافع العلمي المتمثل باهتمام العديد من المؤرخين بالنتاج العلمي في الغرب ومتابعته للاطلاع عليه والاستفادة منه وهذا ما ظهر واضحاً في كتابات العديد من المؤرخين الذين اتخذوا من ذلك دافعاً علمياً يحثهم للاهتمام بهذا الجانب من الغرب.

أما أحوال الغرب الاجتماعية فقد كانت ميداناً من الميادين التي شغلت اهتمام العديد من المؤرخين العرب والمسلمين في مجال معرفة الغرب والاطلاع على أحواله، إذ عالجوا هذه الأحوال من الغرب ضمن رؤية ابتعدت عن

الوصف والنعيم واستندت للبحث والدقة في التعرض لأهم المفاصل المهمة في دراسة هذه الأحوال واولها استعراض المكونات الاجتماعية في الغرب ضمن رؤية الاستدلال على طبيعة هذا المكون اجتماعياً وليس على اساس ديني أو سياسي وهذا ما يحسب للمؤرخين العرب والمسلمين.

ومن صور اهتمامهم أيضاً التقاليد والطقوس الممتعة في الغرب ، فقد رصدوا اختلافها ما بين شعوب الغرب وكيف اقتصار جزء منها بعامة الناس وارتباط الجزء الآخر بالملوك فقط وقدم البعض من المؤرخين العديد من التفسيرات لذلك بالشكل الذي دل على دقة اهتمامهم ومتابعة لهذا الجانب.

وفي نفس المضمون نجد للمؤرخين العرب والمسلمين اهتماماً بما لدى الغرب من ملابس وازياء عارضين اختلافها وطبيعتها ما بين الملوك والعامة وارتباط البعض منها بالمناسبات الدينية أو الاجتماعية فضلا عن الإشارة الى اختلاف الاعتناء بمظهر الجسد ونظافته ما بين مدن الغرب وما ارتبط بالأطعمة والأشربة الخاصة بالغرب فقد كان محل طلب ومتابعة من قبل العديد من المؤرخين من الذين استطلعوا الأطعمة الخاصة بالملوك والخاصة بالعامة وبينوا ارتباط البعض من هذه الأطعمة والأشربة ببعض التقاليد والطقوس.

إن البحث عن جذور الاستغراب في روايات المؤرخين العرب والمسلمين عن الأحوال الاجتماعية في الغرب يدفعنا للقول: إن هذه الأحوال قد مثلت محوراً من المحاور التي ارتكز عليها العديد من المؤرخين في معرفة الغرب والاطلاع على أوضاعه الاجتماعية، ولهذا كانت دائرة اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين بهذه الأوضاع منصبة على رصد ومتابعة مكونات المجتمع واختلاف التقاليد والطقوس ما بين المجتمعات والأزياء والملابس والأطعمة والأشربة الخاصة بالغرب.

بداية وددنا الإشارة إلى مسألة ذات صلة بهذا الموضوع ومفادها : أن العديد من المؤرخين المعنيين بالاهتمام بهذا الجانب من الغرب قد أظهروا رغبة قد تعدت حدود الوصف والنقل إلى حدود البحث والمتابعة بهدف استكمال الصورة المعرفية للغرب في هذا الجانب، ودليلنا في ذلك ، أن بوادر الاهتمام بالأوضاع الاجتماعية في الغرب قد ظهرت في روايات قسم من المؤرخين العرب والمسلمين منذ أن شرعوا في البحث عن أسباب اختلاف البشرة ما بين المجتمعات وأثر بيئة الإنسان في جسمه ولونه وما ارتبط من ذلك ودراسة الغرب، ففي رواية (لابن رسته) أظهر فيها مدى أثر البيئة على الانسان وأهميته في معرفتهم أوضاعهم الاجتماعية لقوله: **"... وقد نجد أيضاً كل المواضع والبلدان تختلف حالاتها وحالات أهلها وما يحدث فيها، وإنما يكون ذلك على قدر قرب الشمس منها أو بعدها عنهم... كثرة الثلوج فيهم وغلبت الرطوبة والبرودة على أراضيهم، فاسترخت لذلك أجساد أهليها... وصارت شعورهم سبطة[٢]، وألوانهم بيضاً وحمراً... وأما حمرة ألوانهم فإن البرد يجمع الحرارة ويظهرها... ومن أخلاق أهل هذه الناحية الجفاء وقطيعة الرحم وقلة اليقين"**[٣]، وهنا أشار (ابن رسته) إلى أثر البيئة في اختلاف المجتمعات من حيث اللون وطبيعة الجسم والطبائع.

وفي المضمون نفسه شخص (أخوان الصفا) أثر الموقع الجغرافي والبيئة الجغرافي والبيئة في اختلاف طبائع وألوان وعادات وأعمال الناس لقولهم: **" ... في كل إقليم من هذه الأقاليم ألوفاً من المدن تزيد وتنقص وفي كل مدينة أمم من الناس مختلفة ألسنتهم وألوانهم وطباعهم... وعادتهم لا يشبه بعضهم بعضاً... وسبب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع"**[٤]؛ لهذا نحن لا نقصد البحث عن أثر البيئة أو الموقع في بشرة وجسم الانسان في روايات المؤرخين العرب والمسلمين إنما هدفنا أن نوضح أن اختلاف المجتمعات سواء أ كان بالبشرة أو الطبائع عكس رؤية العديد من المؤرخين العرب والمسلمين من الذين شرعوا في متابعة الأوضاع الاجتماعية في الغرب وخاصة اللون والطبائع، ففي

أكثر من موضع أشار (المسعودي) إلى الربع الشمالي المتمثل بالصقالبة والافرنجة قد امتازت بشرتهم بالبياض المائل إلى الزرقة بسبب بعدهم عن الشمس وكثرة الثلوج والبرد لديهم(٥)، وفي القسم نفسه الذي أشار إليه (المسعودي) ذكر الاصطخري بأن أهل هذا القسم يزدادون بياضاً كلما اتجهنا شمالاً(٦).

وفي موضع آخر، أشار البعض من المؤرخين إلى طبائع البعض من أقسام الغرب من خلال بيان أثر البيئة أو الموقع، فـ(المسعودي) وصف أهل الربع الشمالي بأنهم ذوو طبائع جافة وألسنة ثقيلة(٧)، وقد شاركه (ابن الفقيه الهمذاني) الرأي نفسه عندما أشار إلى اهل الربع الشمالي بأنهم أقوياء الأجسام وأصحاب صدور عريضة وأعمارهم طويلة وأخلاقهم خشنة(٨).

وغير بعيدٍ من ذلك، أظهر (الزهري) في حديثه عن أرمينية أثر البيئة في تمييز أهل هذه الدولة عن غيرهم في البشرة لقوله: **"... وهي أبرد الأرض واغلة في الشمال... وأهل هذه المدينة قوم شقر بيض الوجوه والشعور، زرق العيون حتى لا يكاد يظهر في أعينهم سواد..."**(٩).

مما تقدم ظهر أن محاولات الربط ما بين البيئة أو موقع الانسان مع طبائعه وصفاته الجسمية من قبل المؤرخين وخاصة فيما خص الغرب ما هو إلا صورة من صور الاستغراب المتمثل بالبحث ومتابعة المكون الاجتماعي للآخر (الغرب) واستطلاع اختلاف البشرة أو الطبائع أو الصفات ضمن دائرة الاطلاع الواسع على الأوضاع الاجتماعية والالمام أكثر بكل مفاصلها في الغرب.

أولاً- مكونات المجتمع:

١- الروم:

مثل الروم مكونا من المكونات التي سجلت حضورا واضحا في روايات العديد من المؤرخين العرب والمسلمين من الذين ابدوا اهتماما بمتابعة النسيج الاجتماعي للغرب والاطلاع على الأوضاع الاجتماعية من خلاله. ويبدو أن اهتمامات المؤرخين بالروم ضمن هذا المضمون قد تنوعت ما بين البحث عن جهة الانتساب ودلالة التسمية من جهة وما بين إظهار الامتداد الجغرافي والاجتماعي للروم في الغرب من جهة اخرى، وباعتقادنا ان هذا التنوع قد أشار الى أن المؤرخين لم يكونوا مجرد ناقلين للمعلومة وإنما كانوا في محل الباحث والمتابع للمجتمعات الخاصة بالآخر (الغرب) وهذا ما أظهرته الروايات الواردة في ذلك ، ففي مجال الانتساب أشار أغلب المؤرخون الى أن الروم من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم (ع)(١٠) ، وفي مجال تسميتهم وقد وردوا الى الروايات المؤرخين بصيغتين احدهما (الروم) والأخرى (بني الأصفر)، فما هو السبب في ورودهم بهذه الصيغتين وما هو قصد المؤرخون بذلك؟

بداية يمكننا أن القول: أن غايتنا الرئيسية البحث عن الروم كمكون اجتماعي عند المؤرخين العرب والمسلمين ولم نقصد البحث عن أصلهم أو جهة انسابهم أو تسميتهم ، ولهذا لو لم تكن هناك رغبة من قبل هؤلاء المؤرخين بمعرفة الروم لما ظهر هذا التنوع والدقة في المعلومات عنهم ، ودليلنا في ذلك، انهم استخدموا صيغة (الروم) للدلالة على الرقعة الجغرافية فقط كما ظهر لنا في روايات العديد من المؤرخين(١١)، حتى أن أسم (الروم) قد اشتق من مدينة (رومية) التي شيدها أحد ملوكهم ويدعى (روملوس) وأسمه قريب من لفظ الروم(١٢)، بينما (بني الأصفر) قصدوا بها الإشارة الى ملوك الروم فقط وليس الروم بأجمعهم كما ظهر في روايات العديد من المؤرخين(١٣) .

وهنا وجب علينا الإشارة الى مسألتين ذات صلة بهذا الموضوع أحدهما : أن المؤرخين العرب والمسلمين أول من دل على أن لفظ (الروم) قد خص الرقعة الجغرافية أكثر مما خص المكان والشعب دلالة على رقعة اهتمامهم

ومتابعتهم للمكونات الاجتماعية الخاصة بالغرب بدليل ان (ابن الفقيه الحمداني) في حديثه عن بلاد الروم أشار الى أن مجتمعهم قد غلبت عليه صفة الرومي والصقلبي[١٤]، وعند حديثه عن حدودهم قال: **"فأرض الروم ..."**[١٥]، وقريبا من ذلك اشار المستشرق (برنارد لويس) في دراسته عن اكتشاف اوربا من قبل المسلمين الى الوعي الذي أظهره المؤرخين في تعاملهم مع لفظ (الروم)[١٦] .

أما المسألة الثانية والمتمثلة بتسمية (بني الأصفر) وكيف تعامل معها المؤرخون ، فباعتقادنا انها كانت ضمن دائرة اهتمام المؤرخون في استطلاع ومعرفة بشرة الروم وكيف عرفوا بها، وشاهدنا في ذلك ، أن كل ما ورد من روايات حول هذه التسمية مع اختلافها بالدقة أشارت الى اهتمام هؤلاء المؤرخين بالجانب الاجتماعي ففي رواية (لأبن الفقيه الحمداني) أن سبب تسمية الروم ببني الأصفر انه بعد موت احد ملوكهم ولم يكن هناك من يعقبه بالحكم إلا زوجته التي قرروا أن يزوجوها لأي شخص يطلع عليهم فزوجوها لعبداً حبشياً كان قد طلع عليهم في وقتها فولدت منه ولدا كانت بشرته صفراء ومنه اكتسبوا هذه التسمية[١٧]، وباعتقادنا أن هذه الرواية تعوزها الدقة والمقبولية، فلم تشر الى أي من ملوكهم تعود هذه الحادثة مع أن أغلب ما ذكر عن الروم قد حفل بذكر أسماء ملوكهم، فلماذا غفل عن ذكر اسم الملك في حال صحة الرواية، نرد على ذلك ما الداع الى تزويج زوجة الملك أي شخص يطلع عليهم وهذا لا ينسجم مع طبيعة النظام السياسي عند الروم المستند للقوة والصرامة والحفاظ على المملكة [١٨] ، فكيف يسلم هكذا منصب مهم في مملكة الروم الى شخص غير معروف وهو عبدا حبشيا كما أشارت إليه الرواية خلافا لما ذكره (ياقوت الحموي) الذي قدم لنا تفسيران أكثر مقبولية من رأي (ابن الفقيه الحمداني) أولهما: انهم سموا ببني الأصفر لقوله: **".... شموا ببني الأصفر لشقرتهم لأن الشقرة إذا أفرطت صارت صفرة صافية ..."**[١٩]، والثاني أنهم اكتسبوا هذه التسمية لأن جدهم عيصو قد اصفر لونه لمرض أصابه أواخر أيامه[٢٠]، لهذا نحن ليس بصدد التفصيل في تسميتهم وأصلها وإنما قصدنا أن نوضح أن هذه الآراء وان اختلفت أو اتفقت قد دلت على اهتمام المؤرخين بالمكونات الاجتماعية للغرب ومنها الروم الذي أشار البعض الى مهارتهم في الفن والعمارة والعلوم على اعتبار انهم ورثوا علوم اليونانيين[٢١].

٣- الافرنجة:

مثل الافرنجة نطاقا جغرافيا واسعا[٢٢]، قد استهوى متابعة العديد من المؤرخين العرب والمسلمين من الذين وجدوا في هذا القسم من الغرب. مكونا اجتماعيا يمكن من خلاله الاطلاع على قسم من الاوضاع الاجتماعية في الغرب والمتمثلة بمعرفة الطبائع أو دلالة التسمية أو غيرها من الأمور المرتبطة بذلك ، ومثلما اعتدنا عند العديد من المؤرخين الاشارة الى مسمى وجهة انتساب أي مكون اجتماعي في الغرب ومنها الافرنجة الذين ينتسبون الى يافث بن نوح (ع)[٢٣]، ولهم طبائع تميزهم عن غيرهم من الأمم المجاورة لهم كالصقالبة والجلالقة وفق ما أشارت إليه الرواية (المسعودي) نصها: **"... فالأفرنجة أشد هؤلاء الاجناس بأسا، وامنعهم هيبة واكثرهم عدة وأوسعهم ملكا، وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة..."**[٢٤]، فما السبب الذي حدى بـ(المسعودي)ان يظهر وصف الافرنجة بهذا الشكل دون غيرهم من الأمم؟

بداية يمكننا القول: أن (المسعودي) أراد أن يتعامل مع الافرنجة كمكون اجتماعي وليس على اساس جغرافي او سياسي، بدليل انه اظهر وصفهم قبل ان يستعرض جغرافيتهم[٢٥]، فضلا عن ذلك، أنه أشار الى ما دل انه يمتلك معلومات عن الافرنجة قد دفعته الى اظهارها، إذ انه أشار الى ما دل على انه أحد الكتب المؤلفة من قبل اسقف يدعى عرماز[٢٦]، ولم يشر الى عنوانه لكنه اكتفى بالإشارة الى أن هذا الكتاب قد اختص بالتاريخ السياسي للإفرنجة[٢٧]، ولم يكن الاهتمام بالافرنجة عامة وبأوضاعهم الاجتماعية خاصة مقتصرا على ما ذكره (المسعودي) إنما قصدنا البدء منه

كأول مؤرخ قد بين ان دلالة مصطلح الافرنجة ذو دلالة اجتماعية وليس جغرافية فقط كما بينا سابقا، وقريبا منه أظهر (البكري) في حديثه عن الافرنجة العديد من القضايا الخاصة بأوضاعهم الاجتماعية، فقد قسم حديثه عنهم ما بين الحديث عنهم بصورة عامة وما بين الاشارة الى موقعهم وخصائصه الجغرافية، فهو قد شارك (المسعودي) في مسألة الاشارة الى ان الافرنج مهتمين بعمارة مدنهم واظهارها بمظهر قد دفع (المسعودي) الى وصفها بالعمائر[٢٨]، في حديثه عنهم[٢٩]، ففي رواية (للبكري) أشار فيها الى أهم مدنهم نصها: **"... ودار مملكتهم الآن بويرة[٣٠]، وهي مدينة عظيمة. ولهم من المدائن نحو خمسين ومئة مدينة ..."**[٣١].

أما عن موقعهم وخصائصه فيمكننا القول: أن (البكري) حاول ان يبين ان الافرنجة ضمن نطاق جغرافي جعلهم من المعروفين بالنشاط الزراعي المتمثل بوفرة المياه وكثرة الفاكهة لديهم[٣٢]، وقد مهد لذلك عند اشارته الى موقعهم بقوله: **"في وسط الاقليم الخامس ، وهوائها غليظ لشدة بردها ومصيفها معتدل. وهو بلد كثير الفاكهة غزير الأنهار، منبعثة من ذوب الثلج .."**[٣٣]، وقريبا من ذلك اشار (ياقوت الحموي) في حديثه عن الافرنجة انهم أمة عظيمة تستغل بلاد واسعة تمتد ما بين شمال الأندلس والى الشرق من مدينة رومية ويفصلها عن بلاد المسلمين جزيرة رودس[٣٤].

وفي موضع آخر نلتمس في روايات البعض من المؤرخين حول طبائع الافرنجة ما يدفعنا للقول: أن هناك اختلاف في وجهة نظر المؤرخين حول هذا الموضوع فعلى سبيل المثال، وصفهم (المسعودي) بأنهم أحسن الشعوب الموجودة في الغرب نظاما وهم ذو هيبة وطاعة لملوكهم[٣٥]، بينما وصفهم (أسامة بن منقذ) بأنهم أجفى اخلاقا وليس لديهم فضيلة سوى الشجاعة، وللفرسان عندهم مكانة عالية فهم أصحاب الرأي والكلمة ولهم دور في القضاء وحل النزاعات[٣٦]، وأظهر نقده لهم لما اتصفوا به من قبل الغيرة على نسائهم وفق مشاهداته لهم[٣٧].

وهنا نستدرك القول: إن هذا الاختلاف في وجهة نظر بين هذين المؤرخين ما هو إلا دليل على اهتمامهم لمعرفة طبائع الافرنجة، لكن لكل مؤرخ قصده من هذه الرواية، فـ (المسعودي) أشار الى مجتمعهم بصورة عامة دون أن يخص فئة معينة منهم وركز على البعض من الأمور التي يشتركوا فيها وهي الهيبة والطاعة والبأس[٣٨]، بينما كان (أسامة بن منقذ) يعيش في ظروف الحرب والأسر معهم واعتمد على مشاهداته لمقاتليهم والافرنج المتواجدين في المدن القريبة من البلاد الاسلامية[٣٩]، لهذا كان أكثر وصفه للفرسان ومكانتهم عند الافرنجة، كما أشار الى صداقته البعض منهم[٤٠].

٣- الصقالبة:

لم يكن الصقالبة بعيدين عن دائرة اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين بالمكونات الاجتماعية في الغرب وإنما كان لهذا المكون حضورا في روايات العديد من المؤرخين سواء كان ضمن تحديد جهة الانتساب أو التسمية أو الإشارة الى الصفات والطبائع، ومثلما اعتدنا في متابعة المؤرخين لهذه المكونات ان نشخص رغبتهم في الالمام بكل جانب من شأنه المساهمة في كشف الأوضاع الاجتماعية لأي مكون في الغرب، وهذا السبب في ظهور الموسوعية في رواياتهم عن هذا الجانب، ففي مجال الإشارة الى أي من أولاد يافث بن نوح (ع) ينتسب الصقالبة فقد اختلف المؤرخون في هذا الجانب، ذهب (اليعقوبي) الى أنهم من ولد جوفر بن يافث[٤١]، بينما أشار (الطبري) الى أنهم من ولد يوان بن يافث[٤٢]، في حين اتفق (السمعاني) و(ابن الأثير) على أنهم من ولد لنطي بن يافث واكتسبوا تسميتهم نسبة الى أبوهم صقلب بن لنطي[٤٣].

واقعا اننا ليس بصدد اثبات الى أي من أولاد يافث بن نوح (ع) يرجع الصقالبة إنما قصدنا أن نبين ان من دلائل اهتمام المؤرخين بالأوضاع الاجتماعية في الغرب عامة وبمكونات المجتمع خاصة تمثلت بالبحث عن جهة الانتساب والتسمية وهذا سبب اختلافهم وتعدد آرائهم في ذلك، وإلا ما مصلحتهم من معرفة أصل الصقالبة وتسميتهم وإلى أي من

ولد يافث بن نوح (ع) يرجعون، فضلا عن ذلك، أن العديد من المؤرخين لم يتعامل مع الصقالبة على اساس امتدادهم الجغرافي في الغرب وإنما تعاملوا معهم كمكون اجتماعي يضم عدة أمم ، ودليلنا في ذلك ، أشار (المسعودي) في أكثر من موضع في حديثه عن الصقالبة بأنهم عدة أمم وأجناس مختلفة لقوله: **"... أما الصقالبة فهم عدة أمم..."**[٤٤]، وقوله أيضا: **"... هم أجناس مختلفة .."**[٤٥]، وشاركه (ياقوت الحموي) بالمضمون نفسه في حديثه عن الصقالبة لقوله: **"... الصقالبة جيل[٤٦] حمر الألوان صهب[٤٧] الشعور"**[٤٨].

ومن المناسب القول: أن اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين بالصقالبة لم يكن حده الاشارة الى جهة انتسابهم وتسميتهم أو الاشارة الى نسيجهم الاجتماعي المتكون من عدة أمم وإنما كانت طبائعهم وصفاتهم وأجناسهم وأثر موقعهم في ذلك محل طلب ومتابعة من قبل العديد من المؤرخين من الذين أظهروا في رواياتهم منهجية اتسمت بالإلمام بكل جانب من شانه المساهمة في معرفة الصقالبة والاطلاع على اوضاعهم الاجتماعية ويمكننا الاستشهاد بما يوضح ذلك، فكل من (المسعودي) و(البكري) أشارا في حديثهما عن الصقالبة بأنهم اجناس فيما بينها من حيث الشجاعة والفروسية والهيبة، فقد عرف الصقالبة (نامجين)[٤٩]، انهم اشجع اجناس الصقالبة واقدرهم بالحروب والفروسية[٥٠] .

وقريبا من ذلك، اشار (ابن الفقيه) و (ياقوت الحموي) في حديثهما عن الصقالبة الى اختلاف لون البشرة لديهم، ففي رواية (ابن الفقيه) نصها: **"... والصقالبة صنفان: سمر وأدم[٥١] ... ومنهم بيض فيهم جمال وهم في البر..."**[٥٢]، ولربما هم من قصدهم (ياقوت الحموي) بأنهم حمر الألوان صهب الشعور[٥٣].

وواقعا ان هذه الروايات تضعنا أمام سؤال مفاده: ماذا قصد هؤلاء المؤرخين بهذا التنوع في المعلومات عن الصقالبة؟ وما مدى أهمية في مجال الاطلاع على الأوضاع الاجتماعية في الغرب عامة والصقالبة خاصة؟

بداية إن الاجابة على هذا السؤال تكمن في أكثر من جانب أولها: إن متابعة أي مكون اجتماعي في الغرب لا تكتمل إلا في إماطة اللثام عن كل ما أرتبط بهذا المكون من أمور شأنها المساهمة في معرفته والاطلاع عليه أكثر، فعلى سبيل في حديث (ابن رسته) عن الصقالبة حاول ان يظهر أثر الموقع والبيئة في الصقالبة من جهة واستعراض صورة من تقاليدهم ضمن هذا المفهوم من جهة اخرى فالمتتبع حديثه عنهم قد اشار في بدايته الى طرقهم المعروفة بوعورتها وبكثافة الاشعار الموجودة فيها وقلة المزارع في أراضيهم واعتمادهم على تجارة العسل وتربية الخنازير وأكث زراعتهم الدخن[٥٤]، ويبدو أن (ابن رسته) قد رصد أهمية ومكانة هذا المحصول لديهم بدليل انه ذكر أن هناك تقاليد خاصه بهم عند حصادهم له تمثلت بأخذ كمية منه ورفعها للسماء ويرددون معها أن الرب رزقنا هذا فأتمه علينا[٥٥].

وقريبا من ذلك في حديث (المسعودي) و(البكري) عن الصقالبة قد أظهرا منهجية اقتضت بأنه لا يمكن الإلمام بجانب معين من دون معرفة الجانب المكمل له أو القريب منه حتى تكون المعلومة مكتملة لديهم، لهذا قدم (المسعودي) صورة متنوعة عنهم من حيث اجناسهم ومن امتاز منها بالشجاعة والفروسية ومن انفرد منها بالهيبة[٥٦]، فهو لم يكتف بالإشارة الى أن الصقالبة في حروب مستمرة مع الافرنجة والروم وإنما أنفرد لمن عرف منهم بالحرب والفروسية[٥٧] ، فضلا عن ذلك اشار الى موقعهم الموغل في الشمال وشتائهم البارد وبشرتهم الملونة وخاصة البشرة الشقراء والشعور الصهب[٥٨]، أما (البكري) فقد حذا حذو (المسعودي) في تعامله مع الصقالبة، فهو إضافة الى الأمور التي اشترك فيها مع (المسعودي) في ذكرها عن الصقالبة[٥٩]، نجده قد أظهر دقة في محاولة الربط ما بين موقعهم وأطباعهم ، فقد ذكر أن بلاد الصقالبة قد عرفت بوجود الجبال فيها ووعرة طرقها[٦٠]، ثم اردف حديثة بقوله: **"... وبالجملة فإن الصقالبة ذوو**

صولة وبطش، ولاختلافهم بكثرة تفرع اعراقهم وتفرق افخاذهم ، ما قامت لهم في الشدة أمة من الأمم..."[٦١]، وهنا قدم الوصف الجغرافي لموقعهم قبل وصف أطباعهم.

أما الجانب الآخر والمتمثل بأهمية هذا التنوع في مجال معرفة الأوضاع الاجتماعية عامة فيمكننا القول: أن العديد من المؤرخين المعنيين بالاهتمام بالغرب والاطلاع على أوضاعه قد ارتكزوا على التنوع في مجال التعامل مع المعلومات لكي يتمكنوا من الولوج أكثر في معرفة الغرب دون الارتكاز على جانب واحد، وشواهدنا في ذلك، ان اختلاف البعض من القضايا بين المجتمعات الإسلامية والغربية دفع العديد من الباحثين الى رصدها ومتابعتها ، كما بينا سابقا ان الاهتمام بالأوضاع الدينية في الغرب قادهم للبحث في النسيج الديني المتنوع في الغرب وأماكن العبادة وبيان أهميتها وقدسيتها فضلاً عن الألقاب والوظائف الدينية والمعتقدات وغيرها من القضايا المرتبطة بهذا الجانب، وبالنتيجة أسهم هذا التنوع في هذه المعلومات الى استطلاع البعض عن المدن أو الأماكن المعروفة بالغرب لارتباطها بهذه الأمور، فالبحث عن المعتقدات الدينية النصرانية في الغرب مثلا يستلزم المرور بمدينة رومية والقسطنطينية لكونها قد حفلتا بحضور عدد من المجامع الكنسية الخاصة بالمعتقدات الدينية عند النصارى.

ثانياً- التقاليد والطقوس:

مثلت التقاليد والطقوس الخاصة بالمجتمعات الموجودة في الغرب أنموذجا واضحا للاستدلال على جذور الاستغراب عند المؤرخين العرب والمسلمين من الذين أظهروا في رواياتهم اهتماما ومتابعة لهذه التقاليد والطقوس من باب الاستطلاع والمعرفة والوقوف على الهوية الاجتماعية لكل مجتمع وليس بهدف نقدها أو الاستخفاف بها لما فيها من غرابة واختلاف عن المجتمعات الاسلامية.

بداية يمكننا البدء بطرح تساؤلا مفاده: كيف تعامل المؤرخون مع هذه التقاليد والطقوس هل تتبعوها ضمن منهجا وصفيا قد ارتكز على الوصف فقط أم كانت ضمن دائرة بحثهم واهتمامهم بالاطلاع على الاوضاع الاجتماعية في الغرب ومنها هذه التقاليد والطقوس؟

وواقعا ان الاحتكام لما لدينا من روايات حول هذا الجانب يظهر أنها كانت محل طلب ومتابعة من قبل العديد من المؤرخين بهدف زيادة المعلومات واستكمال الصورة المعرفية للغرب عن هذا الجانب في رواياتهم، ففي مجال التقاليد والطقوس الخاصة بالموتى في البعض من أقسام الغرب سجل البعض من المؤرخين اهتمامهم بذلك، ففي حديث (ابن رسته) عن الصقالبة أشار الى أن تقاليدهم في هذه المناسبة أما أن يدفن الميت أو يحرق، وفي حالة الحرق لهم طقوس خاصة تمثلت بحضور زوجته بعد أن تقوم بتقطيع وجهها بالسكين حزنا عليه وتأخذ ما تبقى من رماد جثته وتضعه على تل قريب منه يجتمع فيه أهله[٦٢]، أما إذا كان لديه أكثر من زوجة يطلب من إحداهن أن تلتحق به بعد أن يخنقونها بحبل قد أعد لهذه العملية وتلقى معه في النار[٦٣].

ويبدو أن (ابن رسته) قد أثار اهتمامه مسألة حرق الموتى وما العلة من ذلك، بدليل انه دعم حديثه عن هذه التقاليد والطقوس بالقول: **".. وهم كلهم عبدة نيران"**[٦٤] بما دل على انهم يحرقون الميت لاعتقاد خاص بهم لقوله: **"يطربون عند احراق الميت ، ويزعمون انهم يفرحون لرحمة ربه إياه..."**[٦٥]، وكلا التفسيرين يدلان على شيء واحد مفاده انه لم يكن واصفا لهذه التقاليد أو الطقوس إنما حاول أن يبين مكانة النار لديهم وعلاقتها بهذه الممارسات.

وعن الروس وتقاليدهم في هذه المناسبة أشار (ابن رسته) الى ملوكهم يدفنون في قبور اشبه بالبيوت ويدفن معهم ثيابهم وحاجيتهم وقليلا من الطعام و الشراب وتدخل معه زوجته الى هذا المكان حتى تموت معه[٦٦]، ويبدو ان هذه قد اختصت بالملوك والوجهاء بدليل عدم إشارة للعامة من الناس وتقاليدهم في الموت وطرق الدفن.

وضمن هذه المناسبات وما أرتبط بها من تقاليد وطقوس أظهر (ابن فضلان) اهتمامه ومتابعته لجزء من الأوضاع الاجتماعية الخاصة بالأماكن التي فقدها في رحلته الصقالبة والروس والخزر، فمن تقاليد ملكوهم ضيوفهم الخروج مع عامة الناس والوزراء لملاقاتهم والجلوس معهم لتناول الطعام سوية[٦٧]، ويقوم الملك بإطعام الضيف بنفسه[٦٨].

وفي أكثر من موقع، حاول (ابن فضلان) أن يبين ان اختلاف التقاليد والطقوس الخاصة بالمتوفي عند هذه المجتمعات، قد دفعه للاهتمام بها والسعي لمعرفتها والوقوف عليها وخاصة فيما تعلق بموت ملوكهم لقوله: **"... كان يقال لي إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أمورا أقلها الحرق . فكنت أحب أن اقف على ذلك ، حتى بلغني موت رجل منهم جليل..."**[٦٩]، فضلا على انه كان يطلب من الترجمان ان يترجم له الكلام الذي يسمعه من المشتركين بأداء هذه الطقوس[٧٠]، فلو كان مجرد واصفا لهذه التقاليد والطقوس لوجدناه قد اكتفى بالإشارة اليها دون البحث عنها واستعراض قسم منها، لكنها قد شغلته وجذبت اهتمامه لها بالبحث والاستطلاع، لهذا تميزت رواياته بالتنوع والبعض من التفضيل دلالة على انه قد سعى الى الاحاطة قدر الإمكان بالأوضاع الاجتماعية لهذه الأماكن من الغرب، ففي حديثة عن حزن الصقالبة على الأموات بين ان الأحرار منهم تقاليد تختلف عن العبيد، فالأحرار يأتون الى قبر الميت يوم موته ويقومون بالبكاء عليه[٧١]، ونستشف مما ذكره (ابن فضلان) ان هذه التقاليد والطقوس قد ارتبطت بالتفاوت الطبقي اخاص بهذه المجتمعات ، ولهذا بين في البعض من رواياته ان هناك طقوس خاصة بالأحرار وأخرى خاصة بالعبيد ضمن المناسبة الواحدة ، وتقاليد دفن الملوك تختلف عن العامة وقد صرح هو بذلك لقوله: **"... فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم"**[٧٢]، وقد اشار في حديثه عن الروس أنهم إذا كان الميت فقيرا عملوا له قارب صغير وحرقوه فيه دون اجراء أي طقوس لذلك[٧٣]، أما الغني فتكون له سفينة محملة بثيابه وحاجياته ونبيذه وقليل من الطعام ويلبسونه ثيابا جديدة وأسوارا من هب ويضعون على رأسه قلنسوة ويكون مكانه وسط قبه فوق السفينة ويطلب من أدرى جواريه أن تذهب معه بعد أن تخنق من قبل مجموعة من الرجال يؤدون هذه الطقوس وتحرق في السفينة[٧٤].

ويبدو أن (ابن فضلان) أراد أن يبين أن البعض من طقوسهم قد أرتبط باعتقادهم بوجود حياة ما بعد الموت ، ولهذا ذكر أنه طلب من الترجمان أن يترجم له الحديث الذي تكلمت به الجارية أثناء أداء هذه الطقوس وماذا كانت تقصد بذلك، إذ أنها كانت تخبرهم بأنها رأت أثناء هذه الطقوس الموتى من أقربائها ورأت أيضا سيدها في الجنة ومعه غلمان يخدموه وهو يدعونني إليه[٧٥]، وفي موضع آخر، أشار (ابن فضلان) انه سأل أحد المتواجدين أثناء أداء هذه الطقوس عن سبب حرق الميت بالنار فكان رده: **"... إنكم معاشر العرب حمقى .. إنكم تعمدون الى أحب الناس إليكم ..فتطرحونه في التراب وتأكله التراب... ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة وقته وساعته"**[٧٦].

وفي موضع آخر، اشار البعض من المؤرخين في حديثهم عن الروم والأفرنجة الى جزء من التقاليد والطقوس الخاصة بهم ، ففي يوم عيد الميلاد عند الروم يحضر الملك وحاشيته الى الكنيسة العظمى في القسطنطينية للاحتفال بهذا العيد[٧٧]، ولا نستبعد أن تكون رغبة (ابن رسته) من التفصيل في ذكر هذا التقليد والطقوس المرتبطة به لسببين أولهما: ارتباط هذه المناسبة بالجانب الديني المتمثل بولادة السيد المسيح (ع)[٧٨]، مما يزيد من الاهتمام بها، لهذا أشار في

حديثه عن هذه المناسبة الى هناك العديد من الموائد المعدة للطعام أحدها تسمى مائدة النبي سليمان (ع) وأخرى لداود (ع) وأخرى لقارون واحدها لقسطنطين الملك[٧٩]، فضلاً عن ذلك ذكر ان من طقوس هذه المناسبة الاتيان بأسرى المسلمين لديهم واجلاسهم في مكان خاص بهم في مكان الاحتفال وينادى بهم أن ما أمامهم من طعام ليس من لحم الخنزير[٨٠]، وهذه إشارة واضحة على اهتمام (ابن رسته) بالصفة الدينية لهذه المناسبة.

وثانياً: إن حضور الملك وحاشيته قد زاد من اهتمام (ابن رسته) بمتابعة ما ارتبط بهذه المناسبة من طقوس تمثلت بفرش الطريق المؤدي به لهذه الكنيسة بأرقى أنواع الفرش وخروج الكثير من الشيوخ المسبلة شعورهم أمامه ومجيء الكثير من الشباب الحاملين السيوف والرماح خلفه يتقدمهم جمع من رجال الدين في أزياء خاصة بهم حاملين معهم محاجر من نار وفي أيديهم صندوق فيه كسوة املك لأداء الصلاة[٨١]، وللملك مكانا خاصا به يجلس به وقت الاحتفال وأمامه مائدة من ذهب و لا يباشرون بالطعام إلا بعد قيام الملك وخروجه من الكنيسة[٨٢].

وقريبا من ذلك، اشار (ابن الأثير) في استعراضه لحوادث سنة (٤٣٣ هـ / ١٠٤١م) الى تقاليد ملوك الروم في حضور الأعياد بقوله: **"... من عادة الملوك الروم أن يركبوا أيام الأعياد الى البيعة المخصوصة بذلك العيد فإذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخرون فيها..."**[٨٣].

وفي موضع آخر، قدم (أسامة بن منقذ) و(ابن جبير) تصوراً عن البعض من المناسبات والطقوس الخاصة بالافرنجة، من تقاليد بالاحتفال ببعض الأعياد استعراض لفرسان بالرماح أمام الحاضرين وأجواء مسابقة بالجري بين عدد من الحضور[٨٤]. وقريبا منه وهو (ابن جبير) في رحلته المعروفة عرسا افرنجيا بالقرب من ميناء صور[٨٥]، واشار الى أن تقاليدهم في هذه المناسبة الوقوف في صفين عند باب خروج العروس مع وجود الأبواق والمزامير وقدومها وهي مرتدية أفخر ما لديها من ملابس يقودها رجلين من اقاربها[٨٦].

رابعاً- الملابس والأزياء:

لم يكن اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين بالأوضاع الاجتماعية في الغرب مقتصرا على تسليط الضوء على مكونات المجتمع والتقاليد والطقوس وإنما كان للأزياء والملابس الخاصة بالغرب حضورا في روايات العديد من المؤرخين من الذين شرعوا بمتابعة هذا الجانب والاطلاع عليه.

ويبدو ان اختلاف هذه الأزياء والملابس من حيث اشكالها والوانها وصناعتها واختصاص قسم منها بالملوك وأخرى بالعامة في الغرب من دلائل اهتمام المؤرخين بهذا الجانب ودليل رغبتهم بمعرفتها والوقوف عليها، ففي مجال الأزياء الخاصة بالملوك، أشار (ابن رسته) في حديثه عن ملوك الروم، ان ملوكهم أزياء خاصة تمثلت بارتداء ثياب الاكسيمون[٨٧]، وخفان[٨٨]، أحدهما أسود والآخر أحمر[٨٩]، وأكد (ابن خرداذبه) ان قسم من هذه الأزياء قد اختصت بالملوك ولا يحق لأي ارتدائها لقوله: **"... لا يلبس الفرفير[٩٠]، والخف الأحمر إلا الملك ومن تعرض لذلك قتل..."**[٩١]، لبس الجواهر والحلي والقفاز[٩٢] ، أثناء الحرب[٩٣].

أما عن روايات المؤرخين حول ملابس العامة فيمكننا القول : أنها تنوعت ما بين الإشارة إليها بصفتها العامة وما بين التميز بين ملابس الرجال والنساء، فالروم قد عرفوا بالنزيون[٩٤]، الديباج الرومي[٩٥]، وقد أظهر (ابن الفقيه) مدى جمالية البزيون عند الروم بقوله: **"... لهم البزيون العجيب..."**[٩٦].

وفي حديث (الزهري) عن بلاد الافرنجة أشار الى بعض من الملابس المعروفة لديهم ومنها الملف[٩٧]، الذي وصفه بقوله: **"... عندهم تعمل ثياب الملف، وهي ثياب الخز..."**[٩٨]، وثياب الفشطان التي وصفها وبين مدى انتشارها في بلاد الافرنجة لقوله: **"هي نوع من الديباج بيض كأنها من القطن، وقد تعمل في كثير من بلاد الافرنج"**[٩٩]، وقد شارك (الغرناطي) (الزهري) نفس الاهتمام بمتابعة الأزياء والملابس المعروفة في الغرب، ففي حديثه عن مدينة رومية أظهر بما معناه أن أحد مزايا هذه المدينة اشتهارها بصناعة الكتاب لقوله: **"... هم أشجع من الأفرنج وأحسن وجوها من جميع الروم... ويتخذ عندهم ثياب الكتان الذي لا يوجد مثله ، الثوب الواحد مائة ذراع وأكثر أوله وآخره ووسطه شيء واحد..."**[١٠٠]، وأشار أيضا الى أن الروس قد زغبوا الصوف الملون المصنوع في رومية لكونه افضل من الديباج الرومي ، كما أنه عرف بنعومته ولينه وعدم نفاذ المطر منه وجمالية لونه المصنوع بالقرمز[١٠١].

وفي موضع آخر، قدم بعض المؤرخين تصوراً عن الأزياء والملابس المعروفة عند الصقالبة والروس والبلغار وغيرهم ، وكل من الروس والصقالبة والبرطاس والبلغار يلبسون القلانس[١٠٢]، على رؤوسهم[١٠٣]، والبلغار والروس عرفوا بارتداء الملابس الجلدية المصنوعة من جلود الحيوانات وخاصة الثعالب وسمور الماء[١٠٤] ، ولم تكن ملابس الروس مقتصرة على جلود الحيوانات فقط وإنما كانوا يفضلون لباس وصفه (ابن فضلان) بأنه على شكل كساء يغطي الجسد فيه فتحتان لخروج أيديهم منها وكانوا لا يرغبون بلبس القراطق[١٠٥] ، والحفاتين[١٠٦]، وقريباً منه وصف (البكري) ملابس الصقالبة بأنها واسعة لكنها تبدو ضيقة من جهة الاردان[١٠٧] .

بينما الجلالقة ملابسهم ضيقة وتبدو ابدانهم من خلالها[١٠٨]، وفي المضمون نفسه ، كان لأزياء المرأة في الغرب صفورا في روايات البعض من المؤرخين، ففي بلاد الأفرنجة كانت زوجات الملوك في أبهى منظر وهذا ما نجده واضحا في رواية (ابن دحية) الذي نقل لنا مدى اعجاب يحيى بن الحكم الغزال بالأزياء التي شاهد منها في بلاط ملك النورمان[١٠٩]، ومنها أزياء زوجة الملك التي قابلها الغزال لقوله: **"... فرأوا العجب العجيب من أشكالهم وأزيائهم..."**[١١٠].

وغير بعيد منه، وصف (ابن جبير) أزياء المرأة عند الأفرنجة بأنها تلبس للاحتفال ببعض الأعياد ثياب من الحرير المذهب وتلتحف بقطعة من قماش الملوك وترتدي النعل المذهبة وبأيديها الزينة وفي مخضبة ومعطرة[١١١].

خامساً- الأطعمة والأشربة:

مثلت الأطعمة والأشربة جزءا من الأجزاء المكونة للهوية الاجتماعية لكل مجتمع والاطلاع عليها من حيث طبيعتها واختلافها ما بين مجتمع وآخر فجعل منها موضعا للبحث والمتابعة من قبل العديد من المؤرخين العرب والمسلمين الذين قدموا لنا تصورا لقسم من الأطعمة والأشربة الخاصة بالغرب وقد ارتكز تطورهم على ما لديهم من رغبة في معرفة واستطلاع هذا الجانب من الأوضاع الاجتماعية في الغرب متجاوزين حد الوصف وإهمال أي معلومات قد ارتبطت بهذا الجانب .

أول ما يمكن البدء به في تشخيص اهتمام البعض من المؤرخين بالأطعمة والأشربة الخاصة بالغرب ، إن رواياتهم لم تتضمن الإشارة الى جميع أصناف الأطعمة في الغرب وانما حالوا أن يبينوا طبيعة واختلاف البعض منها بين مكان وآخر في الغرب ، ففي حديث (ابن رسته) عن ملوك الروم وكيفية حضورهم الى الكنائس أوقات الاحتفال ببعض الأعياد لديهم، أشار الى ما دل إن اعداد الطعام جزءاً مهما من هذا الاحتفال فقد ذكر انهم يعدون أربع موائد من الطعام منها ما هو خاص بالملك وأخرى خاصة بالأسرى المسلمين الذي يحضرون أمام الملوك في هذا الاحتفال وتكون

مائدتهم خالية من لحم الخنزير[١١٢]، وقريبا مما ذكره (ابن رسته) أظهر (ابن فضلان) اهتمامه بالاطلاع على البعض من الأطعمة في الأقسام التي قصدها في رحلته وخاصة الصقالبة الذين أشار الى الطعام المفضل لديهم بقوله: **"... وأكثر أكلهم الجاروس[١١٣] ، ولحم الدابة[١١٤]، على أن الحنطة والشعير كثير... "**[١١٥]، ويقومون بخلط الشعير مع اللحم في بعض أطعمتهم[١١٦]، لهذا لو يكن الاطلاع على هذه الأطعمة في محل طلب متابعة من قبل البعض من المؤرخين لما طرحت بهذا الشكل ، ودليلنا في ذلك ، إن التعامل ضمن الوصف العام من قبل المؤرخين يلزمهم بالإشارة الى هذه الأطعمة بشكل عام دون إظهار البعض من التفاصيل، لذلك نجد (ابن رسته) قد أشار الى عدد الموائد التي اعدت للطعام وإن أحدها لا تحتوي لحم الخنزير كما انه أشار الى مكانة هذا الحيوان عند الصقالبة المتمثلة بتربيته على شكل قطعان كثيرة للاستفادة منه في الأكل[١١٧]، وكذلك الحال مع (ابن فضلان) الذي لو لم تكن أطعمتهم محل اهتمامه لما وجدناه قد وصف المائدة التي أعدها لهم ملك الصقالبة والمتضمنة اللحم المشوي والجاروس والخبز، بل انه لم يكن مكتفيا بحدود وصفه لذلك وإنما أشار الى قيام الملك بتقطيع اللحم الى قطع صغيرة وتقديم البعض منها للضيف كتقاليد خاصة بهم[١١٨]، وفي موضوع آخر يشخص اهتمام البعض من المؤرخين بتنوع هذه الأطعمة في الغرب واختلاف أهميتها بين مكان وآخر ، فالروم يختلف طعام الجند عن العامة ففي رواية لأبن خرداذبة وفي حديثه عن الروم أشار الى ان الطعام الخاص بالجند في معسكراتهم الجبن والزيت والكعك[١١٩] ، بينما الأصناف المفضلة لدى ملوكهم قد بينها (المسعودي) بقوله: **".. وأكثر طعامهم الكرديانات[١٢٠]، والمرققات[١٢١] ، والاستبدناجات[١٢٢]، والسكباجات**"[١٢٣]، وإن البعض من ملوكهم يفضل تناول طعامه مع سماع الموسيقى[١٢٤]، وشاركهم (الغرناطي) نفس الاهتمام إذ استهواه ما في الروم من أسوق خاصة للطعام وخاصة رومية لقوله: **"... فيها من الأسواق أمر عظيم ... يباع في كل سوق أنواع الأمتعة والمأكولات من الفواكه، والأخباز والطبايخ وأنواع الحلاوات..."**[١٢٥].

وقريبا من حضور هذا التنوع في الأطعمة لدى الروم، قدم بعض المؤرخين تصورا لهذا التنوع لدى البلغار والصقالبة والخزر، فبين كل من (الأصطخري) و (ابن حوقل) عن الطعام المفضل لدى الخزر الأرز والسمك[١٢٦]، وقد بين (الغرناطي) من خلال حديثه عن بحر الخزر وما اشتهر به من تواجد انواع كثيرة من السمك وخاصة نوع تميز بخلوه من الأسنان والعظام وذو فم صغير وله طعم لذيذ جدا إذا ما طبخ مع الأرز لقوله: **"... فيون أطيب من كل لحم يؤكل في جميع الدنيا وذلك الأرز الذي يكون تحته أعذب من جميع الرز ... وهو من عجائب الدنيا"**[١٢٧].

ومما تقدم نستشف مما ذكر من أطعمة خاصة بالغرب قد مثل جانبا من الجوانب التي ارتكز عليها العديد من المؤرخين في معرفة الأوضاع الاجتماعية في الغرب ومن الدلائل في ذلك انهم تابعوا تنوعها واختلاف اهميتها بين مكان وآخر وتمكنوا من خلالها الاطلاع أكثر على الغرب ومن الشواهد في ذلك اهتمام (الغرناطي) في بحر الخزر ودفعه لمتابعة نهر أتل الذي يصب فيه وموقع البلغار القريب منه[١٢٨]، فضلا عن اشتهاره بوجود انواع كثيرة من الأسماك وخاصة الفضلة لديهم في الطعام .

وقريبا من هذا الاهتمام نجد للأشربة حضورا في روايات البعض من المؤرخين العرب والمسلمين، وقد لا نبالغ في القول: إذا ما قلنا أن النبيذ يتقدم هذه الأشربة شهرة وانتشارا في الغرب، ففي حديث (ابن رسته) عن الروم وتقاليدهم في البعض من الاختلافات يظهر مدى أهمية هذا الشراب عندهم، إذ وصف معصرة النبيذ لديهم بقوله: **"... وهو شيء متخذ من الخشب المربع على صنعة معصرة، وتغشى تلك المعصرة ... ثم يجعل فيه ستون انبوبة من صفر ... وقد غشيت تلك الأنابيب بالذهب..."**[١٢٩]، وقريبا منه ذلك ، أظهر (ابن فضلان) مدى تعلق الروس بالنبيذ لقوله: **"هم مشتهرون بالنبيذ يشربونه ليلا ونهاراً، وربما مات الواحد منهم والقدح في يده..."**[١٣٠]، والأفرنجة لديهم أسواق

خاصة للنبيذ ومنه من يبيعها في بيته، وهذا ما أشار إليه (أسامة بن منقذ)، إن لهم أسلوب خاصا لبيع النبيذ تمثل بقيام أحدهم برفع قنينة النبيذ والمناداة بالناس ليسمعوا أوصافه ومكان صنعة للترغيب فيه وشرائه مقابل أن يحصل من يقوم بهذا العمل على قنينة منه[١٣١].

ويظهر أن البعض من الأشربة قد ارتبط تناولها بتقاليد خاصة، ففي رواية (لأبن فضلان) ذكر فيها ان للصقالبة شراب يسمى (السجو)[١٣٢]، وهو خاص بملوكهم والتقليد المرتبط به أن يقف الجميع أثناء تناوله ويهتف أحدهم بحياة الملك[١٣٣]، وقريبا من ذلك، كان الروس يحتسون النبيذ أثناء دفن ملوكهم ويدفنون قسم منه معهم في قبورهم[١٣٤].

ومن ذلك نخلص أن الأطعمة والأشربة في الغرب قد مثلت أنموذجاً من نماذج استغراب المؤرخين العرب والمسلمين بالأوضاع الاجتماعية للغرب والوقوف عليها واستطلاعها بشكل معرفي مرتكز على الرغبة في الاطلاع على الآخر.

الخاتمة

١. انتهج المؤرخون العرب والمسلمين في دراسة أحوال الغرب الاجتماعية رؤية علمية قد استندت على الرغبة في استكشاف تأريخ وحضارة الآخر (الغرب) والاطلاع على أحواله عامة والاجتماعية خاصة بهدف استكمال الصورة المعرفية لديهم عن الغرب.

٢. بعد النسيج الاجتماعي للغرب محوراً من محاور اهتمام المؤرخين بالغرب والبحث عن المكونات الاجتماعية لهذا النسيج المتنوع ورصد الدلالات الخاصة بكل مكون ومتابعة انتشاره جغرافيا في الغرب.

٣. أظهرت رؤية المؤرخين العرب والمسلمين في دراسة أحوال الغرب الاجتماعية أنهم سبقوا الغربيين في التمييز ما بين الألفاظ ودلالاتها فقد اشاروا الى أن لفظ (الروم) يشمل النطاق الجغرافي لهم بينما (بني الأصفر) يشمل ملوكهم ولفظ (الإفرنجة) يشمل النطاق الاجتماعي لعدة شعوب من الغرب.

٤. اختلفت وتنوعت التقاليد والطقوس في الغرب ما بين اقتصار جزءاً منها على الملوك وجزءاً آخر للعامة والبحث عن اسباب هذا الاختلاف كان محل اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين الذين أظهروا في رواياتهم حيال هذه التقاليد والطقوس مدى دقتهم ومتابعتهم لاختلافها وطبيعتها في العديد من أقسام الغرب.

٥. تعد الأطعمة والأشربة الخاصة بالغرب مظهراً من مظاهر اهتمام المؤرخين بأحوال الغرب الاجتماعية وتتبعوها وبينوا اختلافها ما بين عامة الناس والملوك وطبيعة الطقوس والممارسات المرتبطة بها بالشكل الذي دل على ما يمتلكه المؤرخون من رؤية قد تجاوزت حدود الوصف على الهوية الاجتماعية للغرب.

٦. لم تكن رؤية المؤرخين مقتصرة على دراسة جانب معين من أحوال الغرب الاجتماعية وإنما اتسمت وركزت على الالمام بكل المفاصل المهمة في هذا الجانب بهدف زيادة المعلومات وتنوعها ولهذا نجد أخبار عن العامة والملوك والعبيد ضمن الموضوع الواحد.

هوامش البحث

[١] حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب، ص٢٤ ، الوائلي ، توظيف منهج الاستغراب ، ص ٢٣ ، ص٢٤.

[٢] سبطة : أي شعورهم طويلة وغير مجعدة ، الخليل الفراهيدي ، العين ، ج٧ ، ص١١٨.

[٣] الأعلاق ، ص٩٥.

[٤] رسائل ، ج١، ص١٧٩.

(٥) التنبيه ، ص٢٢؛ مروج، ج٢، ص٢٠٦.

(٦) المسالك والممالك ، ص ٢٠٧

(٧) التنبيه ، ص٢٢.

(٨) البلدان ، ص٤٣٥.

(٩) كتاب الجعرافية ، ص٧٦.

(١٠) ابن قتيبة ، المعارف، ص٣٨ ، اليعقوبي، تاريخ ،ج١ / ص ، المسعودي ، اخبار الزمان ، ص٩٣ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ / ص٩٧.

(١١) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص٧٥ ، البلاذري ، أنساب ، ج٧ / ص٤٢ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص١٨٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ / ص٢٧٤

(١٢) المسعودي ، التنبيه، ص١٠٧ ، أبن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٣٢٤.

(١٣) المسعودي ، أخبار ، ص٩٣ ، الطبري ، تأريخ ، ج١ / ص٢٢٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ / ص٩٨.

(١٤) البلدان ، ص١٨٢.

(١٥) المصدر نفسه ، ص١٨٢.

(١٦) اكتشاف المسلمين لأوربا ، ص٢٤.

(١٧) البلدان ، ص١٩٢،

(١٨) عاشور ، تأريخ أوربا في العصور الوسطى ، ص١٣ – ١٤.

(١٩) معجم البلدان ، ج٣ ، ص٩٨.

(٢٠) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٩٨.

(٢١) ابن الفقيه ، البلدان ، ص١٨٣ – ١٨٤ ، ابن صاعد ، طبقات الأمم ، ص٣٥ – ٣٦.

(٢٢) لم يكن مصطلح (الافرنجة) عند المؤرخين العرب والمسلمين قد اختص بشعب او رقعة جغرافية معينة وانما تارة يشمل ألمانيا وفرنسا وشمال اسبانيا وجزء من ايطاليا وتارة يشمل بلاد الغال (فرنسا وبلجيكا) وغرب ألمانيا وشمال ايطاليا وتارة يشمل فرنسا وحدها ، وفي حقبة الحروب الصليبية أصبح هذا المصطلح يطلق على الدول الواقعة في غرب أوربا (انكلترا وفرنسا والمانيا) . ينظر ، ج١ / ص٢٢ / ج٥ / ص١٨١ ، القيسي ، العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية ، ص .

(٢٣) المسعودي ، مروج ، ج٢ / ص٥ ، البكري ، المسالك ، ج١ / ص٢٥٩.

(٢٤) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦.

(٢٥) أشار (المسعودي) الى حدود الافرنجة تبدأ من جزيرة رودس وجزيرة اقريطش ثم تمتد نحو الشمال، مروج ، ج٢ /ص٦.

(٢٦) لم نعثر على ترجمة لهذا الأسقف.

(٢٧) المسعودي ، مروج ، ج٢ / ص٦.

(٢٨) العمائر:-والمقصود بها الأحياء الكبيرة المعروفة بعمارتها.الزمخشري،الفايق في غريب الحديث،ج٢، ص٤٠.

(٢٩) مروج ، ج٢ / ص٦.

(٣٠) بويرة :- وقصد بها (باريس) على اعتبار ان فرنسا تمثل القسم الاكبر في بلاد الافرنج واسمها قد اشتق من هذا الاسم. البكري ، جغرافية ، ص١٣٨ ، القيسي العلاقات الخارجية ، ص٢١.

(٣١) البكري ، المصدر نفسه ، ص١٣٨.

(٣٢) المصدر نفسه ، ص١٤٣ وباعتقادنا ان (البكري) أظهر هذه الرواية ضمن بيان أثر البيئة على الانسان في الغرب ومنها الافرنجة ولهذا فصل في حديثه عن الافرنج عامة وعن موقعهم وبيئتهم.

(٣٣) المصدر نفسه ، ص١٣٨.

(٣٤) معجم البلدان ، ج١ ،ص٢٢٨.

(٣٥) مروج ، ج٢ ، ص٥.

(٣٦) الاعتبار ، ص٣٥.

(٣٧) وقصد بذلك انه شاهد أحد الافرنجة وقد شاهد رجل في بيته ولم يعر أي اهتمام لذلك واخبره ان فعلت ذلك مجددا سوف اخاصمك. الاعتبار، ص٦٩.

(٣٨) مروج ، ج٢/ص ٤-٥

(٣٩) هناك العديد من المدن أصبحت مسرح للحروب الصليبية وقد استولى الافرنجة على العديد منها وأقاموا فيها أمثال عكا وعسقلان وصفد والكرك وانطاكية ينظر: عماد الدين الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص١٤١-١٤٢-١٤٣ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص١٥٨ ، ص٢٨٠.

(٤٠) الاعتبار ، ص٣٥.

(٤١) تأريخ ، ج١ / ص١٥.

(٤٢) تاريخ ، ج١ / ص١٤٢.

(٤٣) الأنساب ، ج٣ ، ص٥٤٩ ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٢ ، ص٢٤٤.

(٤٤) أخبار الزمان ، ص٩٢.

(٤٥) مروج ، ج٢ ، ص٣.

(٤٦) جيل :- مصطلح يشير الى صنف من الناس ، الحربي ، غريب الحديث ، ج١ / ص١٢٦.

(٤٧) صهب :- أي شعر الرأس ذو لون أحمر أو أشقر . الفيروز آبادي ، القاموس ، ج٢ ، ص١٥٧.

(٤٨) معجم البلدان ، ج٣ / ص٤١٦.

(٤٩) مروج ، ج٢ ، ص٣ – وقد ذكر (المسعودي) و (البكري) العديد من أجناس الصقالبة دون الإشارة الى موقعها وسبب تسميتها ومنها (سرتين) و (نامجين) و(مزاوة) و(خيرواتين) و(خيثايين) ينظر: مروج ، ج٢ ، ص٣ ، المسالك ، ج١ ، ص٢٥٧.

(٥٠) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤-٥ ، المسالك ، ج١ ، ص٢٥٧.

(٥١) ادم :- وقصد به البياض ، ابن منظور ، لسان ، ج١٢ / ص٨.

(٥٢) البلدان ، ص١٩٠.

(٥٣) معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤١٦.

(٥٤) الأعلاق ، ص١٢٧ -١٢٨.

(٥٥) المصدر نفسه ، ص١٢٨.

(٥٦) مروج ، ج٢ ، ص٢-٣-٤.

(٥٧) مروج ، ج٢ ، ص٢٠٧.

(٥٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٠٧

(٥٩) أشار البكري الى العديد من القضايا التي ذكرها (المسعودي) عن الصقالبة ، أجناسهم وموقعهم وتقاليدهم لكنه انفرد بعدة أمور منها ، أنه أشار الى طعامهم وغيرها من الأمور التي سوف نستعرضها في مجالها الخاص بهها ، ينظر المسالك ، ج١ ، ص٢٥٥ -٢٥٦ -٢٥٧.

(٦٠) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٥.

(٦١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٦.

(٦٢) الأعلاق ، ص١٢٨.

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٨.

(٦٤) المصدر نفسه ، ص١٢٨ ونحن لا نتفق معه في تعميم ذلك على جميع الصقالبة لأنهم ليسوا على ديانة واحدة وإنما ديانات عدة ، فضلا عن ذلك ، أن هناك فرق بين عبادة النار وتقديسها ويبدو ان من قصدهم (ابن رسته) بعبدة النيران كانوا على الديانة الوثنية ويقدسون النار لواسطة : بينهم وبين الخالق بدليل ان أشار الى رحمة الرب تنزل على الميت أثناء حرقه دلالة على عبادتهم الرب ،الاعلاق ، ص ١٢٨.

(٦٥)الاعلاق ، ص ١٢٨.

(٦٦)المصدر نفسه ، ص١٣٠.

(٦٧) رسالة ابن فضلان ، ص ١١٤-١١٥.

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٦.

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٥.

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ – ١٦٤.

(٧١) ابن فضلان ، رسالة ، ص ١٤٤.

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٤.

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٦.

(٧٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ – ١٥٧ – ١٥٨.

(٧٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ – ١٦١.

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ، وهناك البعض من المؤرخين من الذين شاركوا (أبن فضلان) هذا الأهتمام في متابعة هذه التقاليد دون الإشارة الى الطقوس الخاصة بها وخاصة عند الروس والبريطانيين . ينظر : المسعودي ، مروج ، ج٢ ، ص ٤ ، البكري ، المسالك ، ج٢ ، ص ٢٦ ، ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص ٢٠٧.

(٧٧) ابن رسته ، الأعلاق ، ص ١١٢.

(٧٨) يعد الدافع الديني دافعا مهما من دوافع الاستغراب عند المؤرخين فارتباط هذه المناسبة بالسيد المسيح (ع) يزيدها أهمية ومتابعة .

(٧٩) الأعلاق ، ص١١٢.

(٨٠) المصدر نفسه ، ص ١١٢.

(٨١) المصدر نفسه ، ص ١١٣ – ١١٤.

(٨٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢.

(٨٣) الكامل ، ج٩ ، ص ٤٩٧.

(٨٤) الاعتبار ، ص ٧٩.

(٨٥) صور مدينة :- مدينة تشرف على البحر الرومي وتقع الى الشرق من عكا استولى عليها الإفرنجة سنة (٥١٨ هـ / ١١٢٤م) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤٣١.

(٨٦) رحلة ابن جبير ، ص ٢٧٨ .

(٨٧) الاكسيمون :- ثياب من الحرير منسوجة بالجواهر. الأعلاق ، ص ١١٣.

(٨٨) الخف :- كل شيء خف محمله . الخليل ، العين ، ج٤ ، ص ١٤٣.

(٨٩) الأعلاق ، ص ١٣ .

(٩٠) الفرفير :-

(٩١) المسالك ، ص ١٠٩ .

(٩٢) القفاز :- لباس اليد . الخليل ، العين ، ج٥ ، ص ٩٢.

(٩٣) الضبي ، بغية الملتمس ، ج١ ، ص ٢٨.

(٩٤) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٢ ، ص ٣٤٩ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ١٨٣ ، الادريسي ، نزهة ، ج٢ ، ص ٨٢٤ والبزيون:- قماش من السندس عرف برقته ولينه. الخليل ، العين ، ج٧ ، ص ٣٤١.

(٩٥) الواقدي ، فتوح الشام ، ج١ ، ص ١١٦ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ، والديباج :- نوع من الثياب المصنوعة من الأبريسم وتكون على عدة انواع . الزبيدي ، تاج ، ج٣ ، ص ٣٥٨.

(٩٦) البلدان، ص ١٨٣ ، وقد أشار (ناصر خسرو) في حديثه عن سجادة غالية الثمن كان قد شاهدها في أحد مساجد مصر وانها لو كانت مصنوعة من الديباج الرومي لكانت أغلى . سفر نامه ، ص ٧١.

(٩٧) الملف: ثوب يصنع من الصوف ويكون على عدة ألوان وسمي أيضا لباس الرهبان . الزهري ، الجغرافية ، ص ٧٦ ، بن بطوطة، رحلة، ص ٣٤١.

(٩٨) الزهري ، المصدر نفسه ، ص ٧٦.

(٩٩) المصدر نفسه نفسه ، ص ٧٧.

(١٠٠) تحفة الألباب ، ص ٣٧ .

(١٠١) تحفة الألباب ، ص ٣٨ والقرمز : صبغ أرمني أحمر يؤخذ من ديدان تتواجد على شجرة البلوط ليجفف ويستخدم لصبغ الجلود والحرير والصوف . الخليل ، العين ، ٥ ، ص ٢٥٥.

(١٠٢) القلانس : ومفردها قلنسوة وهي غطاء للرأس . ابن منظور ، لسان ، ج٦ ، ص ١٨١.

(١٠٣) ابن فضلان ، رسالة ، ص ، الأصطخري ، مسالك ، ص ، ابن حوقل ، ص ٣٣٤

(١٠٤) الغرناطي ، تحفة ، ص ٤٧ ، الأدريسي ، نزهة ، ج٢ ، ص ٩٦ وسمور الماء : وعرفوا ايضا (جند بادستر) حيوان صغير يعيش في البر والبحر عرف بفروته الجميلة وفوائده الطبية في علاج العديد من الامراض ، أما الثعالب فهناك ثلاث أنواع من جلودها الأحمر والأبيض والأسود وهو أغلى هذه الأنواع ولا يرتديه إلا الملوك لغلاء ثمنه. المسعودي ، التنبيه ، ص ٥٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ١١ ، ص ٣٢٠

(١٠٥) القراطق : ثوب أبيض يلبس فوق الرأس . الزبيدي ، تاج ، ج ١٣ ، ص ٤١٨.

(١٠٦) رسالة ، ص ١٤٩.

(١٠٧) المسالك ، ج١ ، ص ٢٥٦.

(١٠٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٩٩.

(١٠٩) وقصد به الملك الألماني هوريك

(١١٠) المضرب ، ص ١٤٠

(١١١) رحلة ابن جبير ، ص ٣٠٧

(١١٢) الأعلاق ، ص ١١٢

(١١٣) الجاروس طعام على شكل حب يشبه الأرز يكون على ثلاثة أنواع . ابن سينا ، القانون ، ج١ ، ص٢٨٨.

(١١٤) وقصد بها الخيل والبقر ويفضلون أكل اللحم مشويا وحده . ابن فضلان ، رسالة ، ص ١١٥.

(١١٥) رسالة ، ص١٢٩.

(١١٦)رسالة ، ص ١٣٠.

(١١٧) الأعلاق ، ص ١٢٨.

(١١٨) رسالة ابن فضلان ، ص ١١٥ – ١١٧.

(١١٩) المسالك ، ص ١١٣.

(١٢٠) الكرديانات : الحلوى المصنوعة من التمر . الفيروز آبادي ، القاموس ، ج١ ، ص ٣٣٣.

(١٢١) المرققات :- هي الخبز المصنوع من الأرز . المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٠.

(١٢٢) لم نعثر على ترجمة له

(١٢٣) السكباجات :- اللحم المطبوخ بالخل . الجاحظ ، البخلاء ، ص ٤٤.

(١٢٤) أخبار الزمان ، ص ١٠٠.

(١٢٥) تحفة الألباب ، ص ٣٦.

(١٢٦) المسالك ، ص ٣٢١ ، صورة الأرض ، ص ٢٢٣.

(١٢٧) الغرناطي ، تحفة الألباب ، ص ٨٠.

(١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٨٠.

(١٢٩) الأعلاق ، ص ١١٢.

(١٣٠) رسالة ابن فضلان ، ص ١٥٦.

(١٣١) الاعتبار ، ص٣٥ .

(١٣٢) السجو :- هو شراب العسل يسمونه الصقالبة (السجو) وهو مفيد أيضت لأمراض المفاصل . رسالة ابن فضلان ، ص ، ابن سينا ، القانون ، ج١ ، ص ١٧٩.

(١٣٣) ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص ١١٦ – ١١٧.

(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ – ١٦١.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (٦٣٠هـ)

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت)

٢- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر(بيروت، د.ت)

٣- الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت، د.ت)

أخوان الصفاء وخلان الوفاء (القرن الرابع الهجري)

٤- رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء ، دار صادر(بيروت ، ١٩٧٥)

ابن أعثم ، أحمد بن محمد بن أعثم (٣١٤هـ)

٥- الفتوح ، تحقيق : عللي شيري ، ط١ ، دار الأضواء (بيروت ، ١٤١١)

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ)

٦- جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق: عبد الرحمن علي، ط١، دار الإرشاد(بيروت ، ١٩٦٨)

٧- المسالك والممالك، تحقيق : جمال طلبه ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٣)

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد (٦١٤هـ)

٨- رحلة ابن جبير ، دار صادر ، (بيروت، ١٩٦٤)

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)

٩- البخلاء ، تحقيق : عباس عبد الساتر، دار الهلال (بيروت، ٢٠٠٤)

ابن حبيب ، محمد بن حبيب (٢٤٥هـ)

١٠- المحبر ، مطبعة الدائرة، (ل.م ، ١٣٦١هـ)

الحربي ، أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق (٢٨٥هـ)

١١- غريب الحديث، تحقيق : سليمان ابراهيم، ط١، دار المدينة (جده ، ١٤٠٥هـ)

ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل(٣٦٧هـ)

١٢- صورة الأرض، دار صادر، (بيروت، د.ت)

ابن دحية، أبو الخطاب عمرو بن حسن (٦٣٣هـ)

١٣- المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق : ابراهيم الأبياري وحامد مجيد ، دار العلم (القاهرة ، ١٩٥٥)

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (٥٦٠هـ)

١٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١، عالم الكتب(بيروت، ١٩٨٩)

السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ)

١٥- الأنساب ، تحقيق : عبد الله البارودي ، ط١، دار الجنان ، (بيروت ، ١٩٨٨)

ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله (٤٢٨هـ)

١٦- قانون ، دار صادر (بيروت ، د.ت)

ابن شداد ، بهاء الدين بن شداد (٦٣٢هـ)

١٧- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الشيال ، ط١(القاهرة ، ١٩٩٤)

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)

١٨- تاريخ الأمم والملوك ، ط٤ ، مؤسسة الأعلمي (بيروت، ١٩٨٣)

ابن صاعد ، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (٤٦٢)

١٩- طبقات الأمم ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩١٢)
الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد (٥٩٧هـ)
٢٠- الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١، دار المنار (ل.م ، ٢٠٠٤)
ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (٢٩٠هـ)
٢١- الأعلاق النفيسة ، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٨)
الزبيدي ، محب الدين محمد بن مرتضى (١٢٠٥م)
٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٩٤)
الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٥٤١هـ)
٢٣- كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد صادق ، (القاهرة ، د.ت)
الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (٥٨٣هـ)
٢٤- الفائق في غريب الحديث، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٦)
الغرناطي ، أبو حامد محمد بن عبد الرحيم (٥٦٥هـ)
٢٥- تحفة الألباب ونخبة الاعجاب ، تحقيق : علي عمر ، ط١، (القاهرة ، ٢٠٠٣)
ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)
٢٦- المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط٢، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٩)
القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هت)
٢٧- صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية(بيروت، د.ت)
ابن فضلان أحمد بن فضلان (القرن الرابع الهجري)
٢٨- رسالة ابن فضلان ، تحقيق : سامي الدهان، (دمشق ، ١٩٦٠)
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هت٩
٢٩- أخبار الزمان ، دار الأندلس (بيروت ، ١٩٦٦)
٣٠- التنبيه والاشراف ، دار صعب (بيروت ، د.ت)
٣١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط٤، دار الهجرة (قم ١٩٨٤)
ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)
٣٢- لسان العرب ، (قم ١٣٦٣)
اليعقوبي ، دار صادر (بيروت ، د.ت)
٣٣- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر (بيروت ،د.ت)
ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ)
٣٤- معجم البلدان ، دار إحياء التراث (بيروت ، ١٩٧٩)
النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)
٣٥- نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ، د.ت)

ثانياً المراجع العربية والمعربة

حنفي ، حسن
٣٦- مقدمة في علم الاستغراب، ط٢، (القاهرة ، ٢٠٠٠)
عاشور ، سعيد عبد الفتاح
٣٧- تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة (بيروت، ١٩٧٦)

الوائلي، طالب محيبس حسن

٣٨- توظيف منهج الاستغراب في الدراسات التاريخية الحديثة ، ط١، (دمشق، ٢٠١٣)

لويس ، برنارد

٣٩- اكتشاف المسلمين لأوربا، ترجمة : ماهر عبد القادر، ط١، (القاهرة ، ١٩٩٦)